الاشباه والنظائر

الضفدع معروفة لونها الغالب رمادي ضارب الى الخضرة كلون المستنقعات التي تكثر فيها ولكنها قد تكون خضراء زاهية اللون كالحشيش الاخضر الذي تكون بينهُ . ويظهر بادئ نظرنا انها تستفيد من اتخاذها اللون الماثل لما حولها حتى لا يهتدي اليها اعداؤها . هذا هو التعليل الذي جرى عليهِ علماء الطبيعة حتى الآن وتراهم يعللون بهِ كل الاشباه والنظائر اي ان اشكال الحيوان تختلف وتتنوع من وقت الى آخر فالشكل الذي تكون منهُ فائدة إما بوقاية الحيوان او بتسهيل الاغتذاء عليهِ يكون ابقى من غيرهِ لان الحيوان المتصف بهِ لا يتعرَّض للهلكة مثل سواهُ فيصير اقوى على البقاء واخلاف النسل الى ان ترسخ تلك الصفة في نسلهِ بالوراثة . وبهذه القاعدة يفسَّر كثير من الظواهر الطبيعيَّة في الحيوان والنبات ولاسيما تمثُّل الحيوان بالنبات وتمثُّل النبات بالحيوان وتمثُّل غير السام من الحيوانات بالسام وتمثُّل السام بغير السام

دخلنا دار التاريخ الطبيعي ذات يوم في مدرسة جنيف الخامسة فرأينا فيها غصن شجرة كبيرة بفروعها الكثيرة فظننا في اول الامر انهُ من الاشجار الغريبة ولذلك وضع في تلك الدار وجعلنا ننظر فيهِ لنرى وجه غرابتهِ فتجلَّى لنا بما يدهش الابصار . فاننا رأينا حملهُ بالفراش والديدان المختلفة في اشكال الاغصان والاوراق والازهار والاثمار ولا تفرقها عنها الاَّ بعد تدقيق النظر وكلها ميتة ومصبَّرة

والذين يصطادون الحجل والسماني والقطا الكدري يعلمون انها كلها تختفي عن عيون الصياد لمشابهتها ما حولها من الاتربة والحجارة والاعشاب اليابسة . هذا كلهُ مذكور في كتب العلم ومسلم بهِ ولكن يرى الباحث في الطبيعة مشابهات اخرى غريبة في بابها ولا يرى لها تعليلاً ولا تفسيراً فزيز دود الحرير وزيز كثير من الديدان يشبه المومياء المصرية المقمطة حتى يكاد المرء يظن ان قدماء المصريين لفوا اجسام موتاهم وقمطوها حتى تشبه في شكلها الظاهر زيز الدود تفاؤلاً برجوع الحياة اليها وتقمصها كما يتقمص الزيز فراشهُ . فان كانت المشابهة بين الزيز والمومياء حادثة من قبل الانسان لا من قبل الديدان فقد ظهر سببها ولكن زيزان الديدان قد تشكل بشكل رأس الانسان لا بشكل المومياء فيكون لها ما يشبه العينين والحاجبين والانف والفم وقد صوَّر بعضهم زيز دودة وهو مثل رأس القرد المعروف بالشمبانزي تماماً في شكلهِ وغضون وجههِ كما ترى في الشكل الاول على الصفحة التالية

واغرب من ذلك زيز نوع من القراش فانهُ يشبه في شكلهِ وجه انسان شيخ اقنى الانف

الشكل الاول

طويل الحاجبين مكحول العينين رقيق الشفتين كما ترى في الشكل الثاني. ومن هذا القبيل

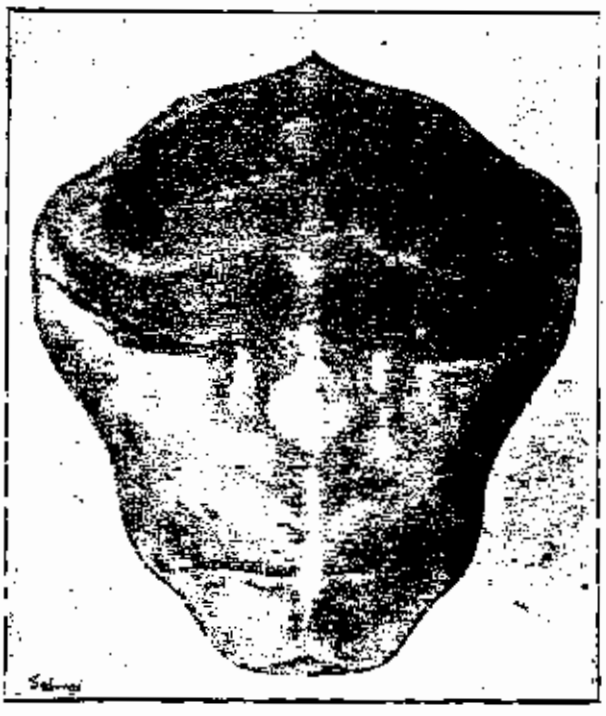

الشكل الثاني

نوع من السرطان يكثر في سواحل بلاد اليابان وهي ظهرهِ شكل مثل شكل وجه الانسان

ويقول اليابانيون انهُ حدثت حرب بحرية دموية سنة ١١٨٤ للميلاد في المكان الذي يكثر فيهِ هذا السرطان قتل فيها خلق كثير منهم فتقمصت ارواحهم في اجسام السراطين ومن ثم صارت السراطين تولد وعلى ظهر كلٍّ منها وجه انسان . ولا يخفى فساد هذه الخرافة ولكن ظهور صورة الانسان على ظهر السرطان من الغرائب التي لا تعلَّل . وقد قال الاستاذ باشفورد دين من اساتذة مدرسة كولمبيا الجامعة ان شكل هذا الوجه مثل شكل وجوه المشارقة وهو اشبه بوجوه الصينيين والكوريين منهُ بوجوه اليابانيين الحاليين او هو مثل وجه شاب غرق فورم انفهُ وانتفخ شدقهُ اما نحن فانا رأينا صورة هذا الوجه فلم نرَ فيها مشابهة كبيرة لصورة وجه الانسان ولعلها قريبة من صورة الهر

ووجدت في اقرا ببلاد الهند جمجمة سزاة تشبه في شكلها وجه القرد الهندي الذي يكثر في تلك البلاد مع ما حولهُ من الشعر . ولا يخفى انهُ يظهر على بزور البطيخ والقرباء احياناً كثيرة خطوط سوداء وبيضاء كأنها كتابة عربية او هيروغليفية والمشابهة بينها وبين الكتابة قريبة جدًّا حتى كنت نحاول احياناً قراءتها فما هو سببها وكيف تكوَّنت ولماذا اتخذت هذه الاشكال دون غيرها . هذه المسائل وامثالها من الغوامض التي يتعذَّر حلها بما لدينا من القواعد العلميَّة

ووجدت عظمة من عظام اذن الحوت ملقاةً على الساحل في بلاد نروج وهي تشبه وجه الانسان اذا نُظر اليهِ عن جانب وانفهُ اخنس وذقنهُ قصيرة مرتدة الى الوراء

وكثيرًا ما ترى سمكاً نهريًّا رأسهُ يشبه رأس الهر او ترى فراشاً على جناحيهِ صور عيون وحواجب كأنها عيون الانسان او غيره من الحيوان . ومشابهة جذر الفقاح لساق الانسان وجذمهِ معروفة . ولا يُنكر ان المحاكين يهذبون هذا الجذر حتى تزيد مشابهتهُ ولكنهُ قد لا يخلو من المشابهة قبل التهذيب . ومشابهة بعض الحيوانات البحرية للنباتات ومشابهة النباتات للحيوانات معروفة مشهورة واشتباهها تفوق الاحصاء

وخلاصة المقال ان تمثُّل الحيوانات بعضها ببعض وبالنباتات وتمثل النباتات بعضها ببعض وبالحيوانات نافع لها وقد رمنح فيها بسبب نفعهِ لها ولكن ما كل تماثل نافع والامثلة التي ذكرناها لا يعرف سببها ولا نفعها